الظلم السياسي وأثره على المجتمع في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

Political injustice and its impact on society Quran Holy the of light the In study objective

أ .م .د/ علي بن ناصر صايل[1]

Dr. Ali Bin Nasser Sail

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.41

(1) أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

المستخلص

الظلم السياسي آفة من الآفات التي تنزل بالأقوام والشعوب, فتدمر كيانها، وتهلك أهلها، وتأتي على الأخضر واليابس فيها، وحين يزداد الطغيان بين الناس، وتستشري شروره, ثم يركن الناس إلى الطغاة، ويستمرئون الخضوع والاستكانة لمظالمهم وطغيانهم، يعمهم الله بالعذاب، ويحاسبهم على ذلك محاسبته للطغاة أنفسهم.

وقد جمع البحث دراسة لموضوع الظلم السياسي, وأثره على المجتمع, في ضوء القرآن الكريم, دراسة موضوعية, وقد أورد الباحث آثار الظلم السياسي, وصوره, وكيفية مواجهته، ويشتمل على المبحث الأول: تعريف الظلم السياسي، والمبحث الثاني: صور الظلم السياسي، والمبحث الثالث: مواجهة الظلم السياسي ودفعه، والمبحث الرابع: آثار الظلم السياسي، وذلك من خلال المطلب الأول: آثار الظلم السياسي المعنوية على المجتمع، والمطلب الثاني: آثار الظلم السياسي المادية.

وخلُص البحث إلى ما يلي:

- حث القرآن الكريم الحكام على مراعاة العدل في المسؤولية، ونبه على شناعة الاستبداد بالحكم, والاستفراد بالسلطة, وتجاهل مبدأ الشورى, الضامن لحقوق ومصالح الحكام والمحكومين معاً.
- يترك الظلم آثاراً مادية على المجتمع منها، الحملات الإعلامية التشويهية، ومنها الاتهام بالكذب، والاتهام بالسحر، والاتهام بالجنون والسفه، والاتهام بالتآمر ضد مصالح الأمَّة، والاتهام بالتآمر لقلب نظام الحكم، وكذا الحرب النفسية، ومنها التحقير، والتثبيط والتشكيك، كما يترك الظلم في المجتمعات كذلك آثاراً معنوية وهي بث الفرقة بين أفراد المجتمع، واستعباد الشعوب، واللجوء إلى استخدام البطش والإرهاب، ومصادرة الحريات.
- بيان القرآن لوجوب مقاومة الظالم بالوسائل المتاحة، واشتماله على مبادئ عامة يسترشد بها المحكومين من طرف سلطة ظالمة إلى سبل مقاومتها ودفع ظلمها عنهم، وهي تفعيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دفع ظلم الحكام وأهمية تعهدهم بالنصيحة، واعتزال الظالمين، وعدم التعاون مع الظالم، و الامتناع عن طاعته فيما فيه معصية الله، و الجهر بالمظلومية، و إصلاح النفوس، و الدعاء على الظالم.

كلمات مفتاحية: الظلم السياسي، الطغيان، الحاكم الظالم، العدل والمساواة.

Abstract

The research collected a study of the issue of political injustice and its impact on society in the light of the Holy Qur'an, an objective study.

The researcher has mentioned the effects of political injustice, its images and how to confront it, and it includes the first topic:

Defining injustice linguistically and idiomatically, and the second topic: images of political injustice, and the third topic: confronting and repelling political injustice, and the fourth topic: the effects of political injustice on society, through the first requirement: the moral effects of political injustice on society, and the second requirement: the material effects of political injustice.

The search concluded the following:

The Holy Qur'an urges rulers to observe justice in responsibility, and warns against the ugliness of tyranny by ruling and monopolizing power, and ignoring the principle of Shura, which guarantees the rights and interests of rulers and the ruled alike.

The Qur'an's statement of the necessity of resisting the oppressor by the available means, and its inclusion of general principles that guide those who are ruled by an oppressive authority to the means of resisting it and repelling its oppression from them, which is to activate the promotion of virtue and the prevention of vice in repelling the oppression of rulers and the importance of their commitment to advice, the isolation of the oppressors, and the non-cooperation with the oppressor, and Refraining from obedience to Him in that which involves disobedience to God, publicly speaking about wronged, reforming souls, and praying against the oppressor.

Injustice leaves material effects on society, including distortionary media campaigns, including accusations of lying, accusations of

witchcraft, accusations of insanity and foolishness, accusations of conspiracy against the interests of the nation, accusations of conspiracy to overthrow the regime, as well as psychological warfare, including contempt, discouragement and skepticism, and injustice leaves societies It also has moral effects, which are spreading division among members of society, enslaving peoples, resorting to the use of oppression and terrorism, and confiscating liberties.

Keywords: political injustice, tyranny, unjust ruler, justice and equality.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله- صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين-، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيراً أما بعد:

فيُعدُّ الظلم السياسي من أكثر أنواع الظلم شيوعاً في وقتنا الحاضر، وأكثرها دماراً للشعوب، وأشدها فتكاً بالأفراد؛ وليس يخفى أن العديد من الأنظمة السياسية اليوم، تمارس هذا النوع من الظلم؛ للمحافظة على بقاء سلطانها، وتسلطها على شعوبها، واستمرارية جبروتها؛ ولتحقيق مصالحها المتعددة، ضاربة في سبيل ذلك بعُرْض الحائط كل القيم الأخلاقية والإنسانية والحقوقية، وبطرق لا تقل فظاعة وشناعة وبشاعة عن أساليب عصابات المافيا والقراصنة.

و ما دامت بؤر الظلم مستمرة، فردود الفعل الغاضبة والمتجاوزة للحد والحق سوف تبقى مستمرة أيضاً، ويعالج الانحراف بانحراف مماثل، فالإدانة والشجب والقمع لم يشكل علاجاً، وإنما السبيل إلى العلاج والوقاية هو إشاعة العدل، والمزيد من الحرية.

من هذا المنطلق جاء هذا الموضوع ليعالج مسألة آثار الظلم السياسي على المجتمع وقد وسمته بـ(الظلم السياسي وآثاره على المجتمع في ضوء القرآن الكريم «دراسة موضوعية).

أولاً: أسباب اختيار البحث:

1. ما يجري في واقعنا المؤلم من الظلم بشتى أنواعه عموماً- والظلم السياسي خصوصاً- على المستوى المحلي والإقليمي والدولي.
2. إيجاد الحلول والمعالجات لمثل هذه الكوارث النازلة على المجتمع.

ثانياً: أهداف البحث:

يهدف الباحث من هذه الدراسة تحقيق الأهداف التالية:

1- بيان آثار الظلم السياسي وصوره وأساليبه وتحذير الحكام من الوقوع فيه .

2- دفعه الظلم السياسي والوقوف في وجه الحكّام الظلمة، وبث الحرية في الشعوب, وحثها على مواجهة الظالمين.

3- نشر قيم العدل والمساواة, وترسيخها في المجتمعات.

ثالثاً: حدود البحث: ويدور حول موضوع الظلم السياسي وآثاره على المجتمع.

رابعاً: الدراسات السابقة: ممن كتب في هذا الموضوع:

1- الشيخ عبدالله أحمد اليوسف، الظلم الاجتماعي في القرآن الكريم، ط/ الأولى، 1432 – 2011م.

2- فاطمة الزهراء سواق، مدافعة الظلم السياسي، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية العدد الثامن 1436هـ - 2015م.

3- الظلم وانعكاساته على الإنسانية رؤية شرعية، أ.د/ **عثمان محمد غنيم، كتاب الأمة، الدوحة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية– قطر– العدد164، 2014م.**

وستتم معالجة هذا الموضوع, من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الظلم السياسي.

المبحث الثاني: صور الظلم السياسي, في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث: **آثار الظلم السياسي على المجتمع**, في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الأول: آثار الظلم السياسي المعنوية على المجتمع, في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الثاني: آثار الظلم السياسي المادية.

المبحث الرابع: مواجهة الظلم السياسي ودفعه, في ضوء القرآن الكريم.

الخاتمة والتوصيات وفهرس الموضوعات.

المبحث الأول:

تعريف الظلم السياسي:

الظلم في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه. وأصل الظلم: الجور ومجاوزة الحد. والظلم: الميل عن القصد. ثم كثر استعماله؛ حتى سمي كل عسف ظلماً[1].

المعنى الاصطلاحي: لا يخرج المعنى الاصطلاحي لكلمة)الظلم(عن معناه اللغوي. إذ إن نقيض العدل هو الظلم، ولذلك يمكن تعريفه بأنه :وضع الأمور في غير مواضعه [2]، وقيل: هو عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور[3]، وهو يأتي على ثلاثة أضرب: أولها ظلم بين العبد وربه، وفيه يدخل الشرك والكفر والنفاق، وثانيها: ظلم بين الإنسان وأخيه الإنسان، وثالثها: ظلم بين الإنسان ونفسه[4]، وفي الضرب الثاني يدخل الظلم السياسي الذي هو جور السلطة الحاكمة على المحكومين بأساليب متنوعه.

حقيقة الظلم السياسي في القرآن الكريم:

حث القرآن الكريم ولاة الأمور على تحري العدل في حكمهم للرعية والمحكومين, فقال تعالى (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) النساء: 58، فقد ذكر كثير من أهل التفسير أن الآية نزلت في شأن ولاة الأمور وليست خاصة بالنبي– – ﷺ في قصة مفتاح الكعبة عند الفتح[5]، ورجح بعضهم أن معناه يتسع؛ ليشمل كل سلطة يُخاطَبُ من تبوأها, بأن يراعى العدلَ فيمن هو تحت إمارته[6]، ومنهم الحكام والأمراء الذين هم قضاةٌ بين الناس في تأدية مهمة سياسةِ شؤونهم, والفصلِ بينهم بما يمتلكون من سلطة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والقاضي اسم لكل من قضى بين اثنين وحكم بينهما، سواء كان خليفة، أو سلطانا، أو نائبًا، أو واليًا؛ أو كان منصوبًا ليقضي بالشرع، أو نائبًا له، حتى من يحكم بين الصبيان في الخطوط، إذا تخايروا»[7].

---

(1) انظر لسان العرب، ابن منظور ١٩٩٠م، ١٢/ ٣٧٣، و المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون ٢/ ٥٧٧.

(2) لسان العرب 373/12، و المصباح المنير، الفيومي 386/2، والمفردات، للراغب، ٢٠٠١م ص 537، و التعريفات للجرجاني، 1405 هـ . ص144.

(3) **المصباح المنير 1/309، والتعريفات للجرجاني ص 76.**

(4) **المفردات** في غريب القرآن، للراغب، ٢٠٠١م ص 537.

(5) **أي ما ذكر أنها نزلت في عثمان بن أبي طلحة، عندما قبض مفتاح الك**عبة من النبي – صلى الله عليه وسلم– فدخل الكعبة يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح، وقال: «خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله، لا ينزعها منكم إلا ظالم» أسباب نزول القرآن، الواحدي، 1426 هـ . ص 150- 151.

(6) **جامع البيان، الطبري، 1422هـ، 8/ 490– 493، و تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 1422هـ، ص 500، الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (1422هـ) 5/255– 258.**

(7) **السياسة الشرعية، ابن تيمية، 1418هـ ص14، مدافعة الظلم السياسي، سواق، 1436هـ – 2015م ص294– 295.**

المبحث الثاني:

صور الظلم السياسي

إذا كان القرآن يحث على الحكم بالعدل, فإن مجاوزة الحاكم لهذا الإرشاد الإلهي هو حكم بخلافه، وهو الظلم، وقد بيَّن الله تعالى في كتابه الكريم صور الظلم الذي يقع فيه من وُلِّيَ أمرَ الناس أُمرَ بأن يراعي مصالحهم، وما ورد في هذا المقام يمكن إيجازه في الأمور التالية:

- **الاستبداد السياسي:**

وهو أن يسيطر الحاكم على السلطة فيجعل كل ما يراه ويخطوه في سياسة أمور الناس هو عين الصواب الذي لا يجوز أن يُعارَض عليه أو يناقش فيه أبداً، متمثلاً صورة من صور الطغيان، ومحاكياً لسلفه في ذلك كما قال تعالى عن فرعون (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) غافر29 وهذا الاستبداد بالسلطة سيتناقض تماماً مع مبدأ الشورى الذي سنه العليم الحكيم لعباده في سبيل ضمان تحقيق مصالحهم جميعاً, حكاماً ومحكومين, دون أن يقع إجحاف على أي طرف منهما، قال الله تعالى مثنياً على جماعة المسلمين التي تتخذ الشورى منهجاً لها في مختلف شؤونها: **(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)** الشورى: 38، وقال تعالى مخاطبًا نبيه بإعمال الشورى في أمره كله، وأمته تبع له في ذلك في كل ما لا يرد دليل على تخصيصه به، قال: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ **اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**) آل عمران: 159.

فالشورى أذن مبدأ إسلامي, يستمد شرعيته من الوحيين الشريفين؛ لتنظيم جوانب متنوعة في حياة الناس: الأسرة، المجتمع، المؤسسات المختلفة، ومختلف القضايا المشتركة، ولا سيما الجانب السياسي المتعلق بنظام الحكم في الإسلام، ومفهومها– باختصار– هو البحث عن الرأي السديد في الأمور التي ليس فيها وحي؛ بالتقليب في آراء أصحاب العقول الراجحة المتزنة، وتطبيقها في العملية السياسية, ووفق المنظور الإسلامي, هو: مشاركة الأمة الإسلامية عبر ممثليها – أهل الحل والعقد – وليَ أمرها في صناعة القرار السياسي, بما يخدم الصالح العام للإسلام والمسلمين[8]، وعليه فإنَّ عدالة الشورى صمام أمان الجميع؛ لكونها تمثل حماية للحاكم من الوقوع في الزلل, لما فيها من مراقبةٍ وأمرٍ بالمعروف ونهي عن المنكر واجبين له من الرعية, عبر أهل الحل والعقد فيهم، ولكونها حماية للمحكومين من تسلط فئة ما على رقابهم، واستئثارها بمصيرهم السياسي، وتوجيه مصالحهم على ما تنظر إليه اجتهاداتها الفردية[9].

الحكم بغير ما أنزل الله:

نعت القرآن الكريم من يحكم بغير ما أنزل الله عز وجل بالظلم، قال تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

(**8**) النظرية العامة لنظام الحكم في الإسلام، عدلان 2011م صـ 180، الوجيز في المبادئ السياسية في الإسلام، 1402هـ - 1982هـ، صـ 129- 152.

(**9**) مدافعة الظلم السياسي، فاطمة الزهراء، صـ296.

فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) المائدة: 45، فهو ظالم لنفسه لمخالفة شرع الله، وظالم لغيره من المحكومين، قال الطبري: «إن الله تعالى عم بالخبر بذلك عن قومٍ كانوا بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين، فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكم على سبيل ما تركوه كافرين، وكذلك الحكم في كل من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به، هو بالله كافر»[10].

قال أبو زهرة في تفسيره لهذه الآية التي تتوعد اليهود المتخلفين عن العمل بما أنزل الله تعالى في التوراة، وتحديدًا في توجيهه للحكمة التي اختير لأجلها لفظة الظلم هنا، قال: "أما هذه الآية فإنها تشتمل على أحكام عملية، فعدم الأخذ بها يتضمن ظلماً، لأنها عدل في ذاتها، ومشتقة من قانون الفطرة الإنسانية" [11].

المبحث الثالث:

آثار الظلم السياسي على المجتمع

المطلب الأول:

آثار الظلم السياسي المعنوية على المجتمع

من الآثار المعنوية التي تترك أثراً في المجتمعات الإسلامية, والتي يرتكبها الطغاة والحكام بصورة عامة, تتجدد يوماً بعد يوم اتجاه المعارضين لهم:

1. **ادعاء الربوبية والألوهية :**

ذكر القرآن الكريم أمثلة قليلة للطغاة المتألهين، بل إنه لم يفصل كما سبق إلا في نموذج واحد وهو فرعون، قال تعالى: (فَحَشَرَ فَنَادَى (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) النازعات23، وقال تعالى: (قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) الشعراء 29.

قال سيد قطب رحمه الله: "هذه هي الحجة, وهذا هو الدليل: التهديد بأن يسلكه في عداد المسجونين. فليس السجن عليه ببعيد. وما هو بالإجراء الجديد! وهذا هو دليل العجز، وعلامة الشعور بضعف الباطل أمام الحق الدافع. وتلك سمة الطغاة, وطريقهم في القديم والجديد!"[12]، وبعض الطغاة المعاصرين الذين لم يعلنوها صراحة نفاقاً وتقية, ولاسيما في العالم الإسلامي، إلا أنهم قد أعلنوها عملاً وتطبيقاً, وما رسوها ويمارسونها ليل نهار، وعلى كل ما عُرف من طغيان فرعون, فقد كان في تصرفه هذا أقل طغياناً من طواغيت كثيرة في القرن العشرين في مواجهة دعوة الدعاة إلى ربوبية رب العالمين، وتهديد لسلطان الباطل

(10) جامع البيان 10/ 358.
(11) **زهرة** التفاسير، أبو زهرة، 2214/4 – 2215.
(12) **في ظلال القرآن 5/2593**

بهذه الدعوة الخطيرة»[13].

ومما لا شك فيه أن إعلان الربوبية والألوهية له بُعْدٌ سياسي خطير، وهو أنه لا بد أن يتعامل الناس أو الرعية مع الحكام تعاملهم مع الرب، بحيث يتم التعامل معهم على أساس التعبد المطلق والخضوع التام، فالمواطن الصالح المثالي في الدولة التي يحكمها الطاغية هو الذي لا تخالج قلبه شكوك تجاه الحاكم, كما هو العبد الصالح التقي مع ربه، ولا يفكر في يوم من الأيام بعصيان أمر الحاكم، ويعمل كل ما في وسعه للوصول إلى درجة الاستسلام التام والخضوع المطلق, بحيث يسبح ويقدس باسمه, قيامًا وجلوسًا.

2. الحملات الإعلامية التضليلية:

تقوم المؤسسة الطاغوتية بإثارة الشكوك حول نزاهة الداعية أو المصلح, من خلال اتهامه بتهمٍ مختلفة، من خلال حملات إعلامية منظمة وموجهة، لما لذلك من أهمية كبيرة في وقف نشاطه أو عرقلته؛ لأنه يمثل القدوة والنموذج للفكرة الجديدة, والبديل المستقبلي لنظام الطاغية. ويتم التركيز في هذه الحملات على مجموعةٍ من التهم, والتي تكررت على مر الأزمان, مع أصحاب كل الدعوات الإصلاحية، وهي:

- **الاتهام بالكذب:**

تذكر كثير من الآيات القرآنية أن تكذيب الدُعاة والمصلحين مما دأب عليه الطغاة وأعوانهم الملتفون حولهم, والرّعيّة الظالمة المتبعة لهم، ومن الآيات الصريحة في ذلك ما يأتي:

قال تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا **أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**) القصص: 38، ولم يكن الأمر مختلفاً مع الرسول– ﷺ – مع أنه كان مشهوراً بالصادق الأمين، إلا أن الطغاة من قريش رغم علمهم بذلك وصفوه بالكاذب: (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) **ص: 4**، الأمر «الذي يعرفونه حق المعرفة: إنه ساحر وإنه كذاب! إنما كان هذا سلاحًا من أسلحة التهويش والتضليل وحرب الخداع, التي يتقنها الكبراء, ويتخذونها لحماية أنفسهم ومراكزهم من خطر الحق, الذي يتمثل في هذه العقيدة, ويزلزل القيم الزائفة والأوضاع الباطلة التي يستند إليها أولئك الكبراء! ... وهو من استخدام حرب الدعاية ضد محمد– ﷺ– والحق الذي جاء به، لحماية أنفسهم وأوضاعهم بين الجماهير في مكة. ولصد القبائل التي كانت تفد إلى مكة في موسم الحج، عن الدين الجديد وصاحبه– ﷺ –»[14].

وكما تبين فإنها سنة متبعة من عهد نوح عليه السلام وإلى يوم القيامة، فما من رسول إلا وقد كُذِبَ قال تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (12) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (13) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ) **ق:14–12**.

- **الاتهام بالسحر:**

(13) المصدر السابق، 1348/3.

(14) **في ظلال القرآن 5/3008**.

تبتكر المؤسسة الطاغوتية تهمًا لتوجيهها للمعارضة وللدعاة والمصلحين، وبما أنه يقف على هذه الحملات التشويهية أهل الخبرة والدهاء, فإنهم يختارون أنسب التهم وأكثرها تأثيراً في نفوس الناس, بحيث يسهل على العامة تقبلها كما هو الحال اليوم مع تهمة الإرهاب (وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ) الزخرف:30، قال سيد قطب رحمه الله: "**لا يختلط الحق بالسحر**, فهو واضح بين، وإنما هي دعوى، كانوا هم أول من يعرف بطلانها, فما كان كبراء قريش ليغيب عنهم أنه الحق, ولكنهم كانوا يخدعون الجماهير من خلفهم، فيقولون: إنه سحر»[15], وقال ممثل النخبة الطاغية من قريش الوليد بن المغيرة عن الرسول– ﷺ: (فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ) المدثر:24، وبما أن الطواغيت لا يهمهم تناقض أقوالهم وأفعالهم، وبما أن الرَّعيَّة ليس لها حق الاعتراض أو حق بيان التناقض في تصرفاتهم, فإن الاتهامات تأتي متناقضة في كثيرٍ من الأحيان، فالإعلام الذي يتهم المعارضة بتهمةٍ ما, لا يجد مندوحة من اختلاق تهمٍ أخرى, وإلصاقها؛ بهدف التشويه والتشويش.

- **الاتهام بالجنون والسفه:**

كان اتهام الدُّعاة والمصلحين بالجنون ولا يزال دأب الطغاة المفسدين، فهو سلاح قديم وحديث في آنٍ واحد، استخدمه الطغاة لتصوير الدعاة والمصلحين بأنهم مجانين أو مختلو العقول أو متخلفون أو رجعيون.

فها هم الملأ الطاغي من قوم هود يتهمونه بالجنون والسفه، قال تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (66) قَالَ **يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) الأعراف66-67.

والذين يرددون هذه الدعايات: «هم الكبراء البارزون فيهم, كشأن أعداء الأنبياء دائمًا؛ لأنهم الذين يخافون على سلطانهم، كما رأيت في الذين عاندوا نوحًا, وكفروا به، وكما رأيت في الذين عاندوا محمدا – ﷺ– وكما نرى في الذين عاندوا هوداً أخا عاد، وقد بادروه بالطعن في شخصه. قالوا في شخصه: (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ), وأكدوا ذلك بـ «إنَّ « وباللام، أي: إنا لنراك في خفة عقل وحمق وطيش, وذلك استخفاف به، لأنهم ضالون. ودعاهم إلى الحق الذي لَا ريب فيه»[16].

وقال فرعون كما جاء القرآن الكريم عنه: (قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) الشعراء: 27، وقوله تعالى: (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)الذاريات:39، وقريش وصفت الرسول– ﷺ بذلك: (وَيَقُولُونَ أَئِنَّا **لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ**) الصافات: 36.

- **الاتهام بالتآمر ضد مصالح الأمَّة:**

تحاول المؤسسة الطاغوتية إثارة النقاط الحساسة التي تمس مشاعر الجمهور العام، وتدفعهم إلى الخوف والتجسس، واتخاذ ردود أفعال سلبية تجاه الدُعاة والمصلحين أو كل من يقف في الطرف المعارض للسلطة،

(15) **المصدر** السابق 3185/5

(16) **زهرة التفاسير 6/2884**.

فيحكي القرآن الكريم عن فرعون وملئه كيف اتهموا موسى وهارون– عليهما السلام– بالتآمر ضد مصالح الشعب، وذلك محاولة منهم الضرب على الوتر الحساس عند الرَّعيَّة, وهو الإخراج من الوطن الحبيب على قلب كل إنسان، وإن فرعون لا يهمه الأمر كثيرًا لولا أنهما يشكلان خطرًا على الرَّعيَّة ومصالحها (قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) الشعراء 34– 35، قال سيد قطب: "تلك شنشنة الطغاة حينما يحسون أن الأرض تتزلزل تحت أقدامهم, عندئذٍ يلينون في القول بعد التجبر، ويلجؤون إلى الشعوب, وقد كانوا يدوسونها بالأقدام, ويتظاهرون بالشورى في الأمر, وهم كانوا يستبدون بالهوى»[17].

وقال تعالى: (قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا **مُوسَى**) طه: 57، ففرعون في هذا المشهد يتصرف بوصفه حامي مصالح الشعب من المفسدين, الذين يريدون إخراجهم من أرضهم. وعليه فما دام الأمر بهذه الخطورة, فإنه طلب من الملأ الذين يفترض فيهم أنهم نواب الشعب إصدار قرارٍ بهذا الشأن, أو السماح له لاتخاذ اللازم, وهو قتل المفسدين، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى؛ لإضفاء الشرعية على ما سيتخذه من قرارٍ صارمٍ بحق موسى وهارون– عليهما السلام– ولإخراج نفسه من الورطة التي وقع فيها، والحيرة التي انتابته أمام الآيات التي سبق وأن طلب من موسى الإتيان بها.

ودائمًا "الطغاة يعتبرون أنفسهم هم المصلحون, وهم الغيارى على مصلحة الشعب، ويعتبرون الدعاة إلى الله مفسدين, يجب إخماد أنفاسهم، وهذا من الطغاة منهجٌ قديمٌ ومنطقٌ معروف»[18].

ثم بنظرةٍ سريعة إلى قولِ فرعون وملئه, سنجد أن السبب لم يكن كما أوردوه من أنهما يريدان إخراج النَّاس من أرضهم، وإنما كان السبب هو الخروج عن سلطة الطاغية، أو بحسب تعبير فرعون عدم أخذ رأيه في ذلك: (قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ) الأعراف:123، طه:71، الشعراء:49.

- **الاتهام بالتآمر لقلب نظام الحكم:**

دأب الطُغاة على اتهام الدعاة والمصلحين بالتآمر لقلب نظام الحكم، وتحت مظلة هذا الاتهام يتم التخلص من كل من يشم منهم رائحة المعارض، فنجد في مقدمة التهم التي وجهت إلى موسى وهارون – عليهما السلام– تهمة التآمر على السلطة والحكم, قال تعالى: (قَالُوا **أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ**) يونس:78، والمعنى أي تكون لكما العظمة والملك، أو الملك والسلطان[19], وعلل "تكذيبهم له بأمرين أحدهما: أن اتباعه تحويل لهم عن التقاليد الموروثة عن الآباء، والثاني: أنه يسلب سلطانهم منهم, وينفرد هو وأخوه بما يتمتعون به من الكبرياء في

(17) **في ظلال القرآن 5/2590**.
(18) **المستفاد من قصص القرآن، زيدان رحمه الله 1/380**.
(19) **صفوة** التفاسير، الصابوني، 1417 هـ - 1997م، 553/1.

الأرض»[20].

3. الحرب النفسية:

ومن الآثار التي يتركها هؤلاء الطغاة في المجتمع يحاولون– قبل أن يكشروا عن أنياب طغيانهم– محاربة الدُعاة والمصلحين نفسياً, وبأساليب عديدة؛ لتثبيطهم وإدخال اليأس والقنوط في نفوسهم، ومن جانب آخر لتنفير الرعية منهم، نشير إلى بعض تلك الأساليب, وهي:

- **الاستهزاء والسخرية:**

ما من داعية أو مصلح إلا وقد واجه الاستهزاء والسخرية من بني قومه المدفوعين من قبل السُلطة أو الملأ, كما جاء في حق موسى– عليه السلام– قال تعالى: (**فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ**) الزخرف:47، وفرعون يستهزئ بموسى بقوله مخاطباً الملأ الجالس حوله: (**قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**)، الشعراء: 27، و كذلك الرسول– – ﷺ يتعرض لنفس الأمر من الملأ القرشي العاتي، بل إن ذلك كانت ولا تزال سنة متبعة، ووسيلة توسل بها كل طاغية على مدار التاريخ، قال تعالى: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) الرعد: 32، (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) المطففين:29، وقد مر– –ﷺ يومًا بجماعة من زعماء قريش فهمزوه، واستهزأوا به، فغاظه ذلك، فأنزل الله عز وجل: {**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**}الأنعام: 10[21].

- **التحقير:**

بما أن الطاغية محاط بكل ما من شأنه إظهار الجلال والأبهة عليه، لذا ينظر إلى كل من تحته نظرة تحقيرية، سيما من يقف منه موقف الند والمعارض، فها هو الطاغية يعلن على الملأ أنه لا يمكن بحالٍ من الأحوال المقارنة بينه وبين موسى، بل إنه من غروره لم يذكر اسم موسى، وإنما ذكره بوصف تحقير, وهو: (الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ)الزخرف:52، قال تعالى: (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا **قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ**)الزخرف:51-53، ومعلوم أن الشرذمة وصف للجماعة القليلة الحقيرة, قال تعالى: (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ)الشعراء 53-55.

وقد رفضت النخبة الطاغية من قريش نبوة الرسول– – ﷺ ورسالته, وقالوا تحقيرًا له لولا أنزل القرآن رجل من القريتين – مكة والطائف– عظيم, أي: على جبار من جبابرة القريتين, قال تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا

(**20**) **تفسير** المنار380/11.

(**21**) **السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، الدبيسي، 1431 هـ – 2010 م صـ355، والحديث ذكره ابن اسحاق، ابن هشام (2/ 42)، وذكره السيوطي في الدر المنثور، (3/ 5).**

نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) الزخرف:31، وذكر ابن إسحاق الوليد بن المغيرة؛ حيث قال: أينزل على محمَّدٍ, وأترك وأنا كبير قريش وسيدها؟! ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف؟! فنحن عظيما القريتين, فنزلت الآية: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ...}[22].

التثبيط والتشكيك بالمصلحين في المجتمع:

من الوسائل التي تستخدمها المؤسسة الطاغوتية محاولة تثبيط المعارضين بصورة عامة, وتشكيكهم في المنهج الجديد, وبالقائمين عليه, قال تعالى: (**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ**) الأعراف:75.

قال سيد قطب رحمه الله: «وهكذا نرى الملأ المستكبرين من قوم صالح يتجهون إلى من آمن من الضعفاء بالفتنة والتهديد»[23].

ونجد أن النخبة المستكبرة الطاغية دائمًا وأبدًا **ت**علن كفرها بكل الدعوات الإصلاحية, كما يذكر القرآن الكريم في آيات كثيرة، قال تعالى: «**قال الذين استكبروا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**».

وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)الزخرف:23.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكفر أو الرفض متضمن نوع تهديد، لأن الطاغية أو النخبة الطاغية المستكبرة إذا أعلنت كفرها بالمنهج الجديد, فمعناه أنها لن تقف مكتوفة الأيدي أمام من يدعو إليه, ويتبعه.

- تزوير الحقائق وتضليل الأمور على الناس:

من عادة الطغاة تزوير الحقائق أمام الرأي العام؛ حتى يبقى صامتًا لا يحرك ساكنًا، ويظهر هذا التزوير في اتهام الدُعاة والمصلحين بما هو بعيد عن الحقيقة من الاتهام بالسحر والكذب والجنون, وما إلى ذلك، ويظهر هذا في القرآن الكريم في قصة فرعون, فها هو فرعون يقول لموسى أمام الملأ: (فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ)طه:58، (وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ)الأعراف:138، كان الأمر حقيقة، وأنه ساحر، فالمطلوب مواجهة سحره بسحر مثله، قال المراغي: «وإنما قال تلك المقالة، ليبين أنه قوي القلب، جلد متمكن من تهيئة وسائل المعارضة، وترتيب أسباب المغالبة، طال الأمد أو قصر»[24].

وقال سيد قطب: «وهكذا يفهم الطغاة أن دعوى أصحاب العقائد إنما تخفي وراءها هدفًا من أهداف هذه الأرض, وأنها ليست سوى ستار للملك والحكم...، ثم هم يرون مع أصحاب الدعوات آيات، إما خارقة كآيات موسى، وإما مؤثرة في الناس تأخذ طريقها إلى قلوبهم, وإن لم تكن من الخوارق. فإذا الطغاة يقابلونها بما يماثلها ظاهريًا: سحر نأتي بسحر مثله! كلام نأتي بكلام من نوعه! صلاح نتظاهر بالصلاح! عمل طيب نرائي بعمل طيب! ولا يدركون أن للعقائد رصيدا من الإيمان، ورصيدا من عون الله فهي تغلب

(22) **الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، دراسة موثقة**، الفالوذة، ص399.

(23) **في ظلال القرآن3/1313**.

(24) **تفسير المراغي 16/122**.

بهذا وبذاك، لا بالظواهر والأشكال!»[25].

- الظهور بمظهر الحريص على الدين والأمن والاستقرار:

يحاول الطغاة في كثيرٍ من الأحيان, سيما إذا ما شعروا بالخطر إظهار أنفسهم حماةً للدين والأمن العام, ولاسيما إذا كانت الرعية مستخفة طائشة, تصدق كل ما تسمعه من وسائل إعلام الطاغية، ومن ذلك نجد أن فرعون برر إقدامه على قتل موسى، قال تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)غافر:26، قال ابن كثير: "يعني موسى يخشى فرعون أن يضل موسى الناس, ويغير رسومهم وعاداتهم, وهذا كما يقال في المثل: صار فرعون مذكرًا, يعني واعظًا, يشفق على الناس من موسى عليه السلام"[26].

وقال المراغي: "إني أخاف أن يفسد موسى عليكم أمر دينكم الذي أنتم عليه من عبادة غير الله, ويدخلكم في دينه الذي هو عبادة الله وحده، أو يوقع بين الناس الخلاف والفتنة، إذ يجتمع إليه الهمل الشّرّد, ويكثرون من الخصومات والمنازعات, وإثارة القلاقل والاضطرابات، فتتعطل المزارع والمتاجر, وتعدم المكاسب»[27]، ويعتبر الطغاة أنفسهم هم المصلحون, وهم الغيارى على مصلحة الشعب، ويعتبرون الدعاة إلى الله مفسدين, يجب إخماد أنفاسهم، وهذا منهج قديم ومنطق معروف[28].

- إظهار الواقع وتصويره بالواقع النموذجي:

وذلك لأن المحافظة على الواقع واستدامته, معناها الحفاظ على الطاغية، ودوام حكمه وسلطته، قال تعالى: **(قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى)** طه:63، فطريقة فرعون وواقع دولته, هي الطريقة المثلى التي يجب المحافظة عليها، ومحاولة إطالة أمدها، وجعلها من المقدسات، يقول الآلوسي مصورًا تزييف الطغاة: «وحاصل المعنى على ما قرر أولاً إني أخاف أن يفسد عليكم أمر دينكم بالتبديل, أو يفسد عليكم أمر دنياكم بالتعطيل, وهما أمران كل منهما مر»[29].

المطلب الثاني:
آثار الظلم السياسي المادية على المجتمع

تقوم المؤسسة الطاغوتية باستخدام وسائل كثيره لإخضاع الرَّعيَّة لسيادتها من جانب، ومن جانب آخر

(25) في ظلال القرآن 4/2340.
(26) تفسير ابن كثير، 126/7.
(27) تفسير المراغي 24/61.
(28) المستفاد من قصص القرآن الكريم، 1/ 380.
(29) روح المعاني الألوسي 12/316

لضرب المعارضة إن وجدت حتى لا تتمكن من إيجاد موطن قدم لها على الساحة السياسية؛ لأن مجرد السماح للمعارضة بالتنفس معناه قرب زوال حكم الطاغية، وقد ذكر القرآن الكريم عدداً من تلك الوسائل العادية التي تستخدمها السلطات الطاغوتية، وقد لخص قوله تعالى:(**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**) القصص:4، جانباً كبيراً مما تتركه المؤسسة الطاغوتية القمعية من آثار مادية في المجتمع وفيما يلي نشير إلى آثار الظلم السياسي المادية وهي الآثار التالية:

1. بث الفرقة بين أفراد المجتمع:

كانت الوحدة– ولا تزال– من أقوى الموانع التي تقف في وجه الطواغيت في ممارسة الظلم والطغيان, **فكان** لزاماً عليهم أن يعملوا كل ما في وسعهم للقضاء عليها, ومنع ظهور تلك الوحدة بين الرعية, ولو كانت وجدانية؛ وذلك لأنها ربما تتطور إلى وحدة حقيقية في الواقع، وعند ذلك تكون نهاية الطاغية وأعوانه.

يقوم الطاغية بتطبيق سياسة «فرق تسد», أو جعل الناس حسب التعبير القرآني «شيعاً, كما قال تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)القصص:4،**"ويعني بالشيع: الفرق، يقول: وجعل أهلها فرقا متفرقين"**[30]، وقال أبو زهرة: «أي فرقاً. وهذا شأن الملوك المستبدين: يفرّقون بين الأمة، ويجعلونها شيعاً وأحزاباً"[31]، ولقد مُكِّن لفرعون موسى أشد التمكن وجود أقوامٍ مختلفة في المجتمع (الأقباط، والإسرائيليين)، مما سهَّل عليه وعلى أعوانه إثارة الحقد والبغضاء بينهم, ثم لم يكتف بذلك وحده, وإنما قسم كل جنس منهم إلى فرقٍ وأحزابٍ متباغضة فيما بينهم, فها هم بنو إسرائيل مقسمون إلى أقسام، فهناك المقربون إلى فرعون، وهناك المبعدون المضطهدون، وهذا ما يوضحه قوله تعالى: (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) يونس:83، فالملأ من بني إسرائيل كانوا مقربين من فرعون، وقد نابوا عنه في إثارة وإشاعة الخوف بين بني إسرائيل, سيما قارون عامل فرعون عليهم.

2. استعباد الشعوب:

دائماً فلسفة الطغيان قائمة على استضعاف واستعباد الآخرين، لذا لا نجد في القرآن الكريم ذكراً للطغاة والمستكبرين إلا وقد قرن ذلك بذكر الاستعباد والاستضعاف، فاستعباد الآخرين صفة مميزة للطواغيت والمستكبرين، وهي الوسيلة الفعالة في أيديهم لمنع كل مقاومة لدى الرعية، والآيات التي تشير أن الطغاة يقيمون عروشهم على أكتاف المستضعفين المستعبدين كثيرة، قال تعالى: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (46) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ

(30) تفسير الطبري جامع البيان 19/150

(31) زهرة التفاسير، 1/ 468.

مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ) المؤمنون:44-47، قال أبو زهرة: «لهم عابدون، أي خاضعون خضوعًا مطلقًا قد استذلوهم, وذبحوا أبناءهم, واستحيوا نساءهم, وعبَّدوهم، كما فرض فرعون على المصريين أن يعبدوه، قال الطبري في قوله: (يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ) ذكر أن استضعافه إياها كان استعباده[32]. وقال لهم: (مَا عَلِمْتُ لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيرِي)»[33], وكل المعاني التي ذكرها المفسرون للآية تفيد معنى الاستعباد والإذلال، وكان بنو إسرائيل يعبدون فرعون؛ وحيث ما ذكر الطغاة والمستكبرون في القرآن الكريم, ذكر معهم المستضعفون والمستعبدون؛ ليوحي بذلك أنه لا طغيان إلا باستعباد الآخرين، قال تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ)الأعراف:**75**، **واستعباد الآخرين وسيلة فعالة لمنع الرعية من القيام بأي تحرك** مضاد للطاغية أولاً، وثانياً لخلق اليأس والقنوط في نفوسه، لأن العبودية تجعل من الإنسان غالباً لا يفكر في شيء لما هو عليه الفساد الأخلاقي, قال تعالى: **(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ)**الفجر:6-12؛ نظراً لأن مجتمع المحكومين من قبل الطاغية, مجتمع تنعدم فيه الثقة بين أفراده؛ لما يقوم به الطاغية من إشاعة الفرقة والتمزق بين فئاته المختلفة، فإن الفرد في هذا المجتمع مضطر في غالب الأحيان إلى إظهار ما ليس في نفسه، وإلى التعامل بازدواجية مع قضايا الحياة اليومية, ومع الآخرين.

ففي ظل حكم الطاغية, **ك**ما يقول الكواكبي– رحمه الله–:" **طالب الحقّ فاجرٌ، وتارك حقّه مطيع، والمشتكي المتظلّم مفسد، والنّبيه المدقق ملحد، والخامل المسكين صالح أمين. وقد اتَّبع الناس الاستبداد في تسميته النصح فضولاً، والغيرة عداوة، والشّهامة عتوّاً، والحمية حماقة، والرحمة مرضاً، كما جاروه على اعتبار أنّ النّفاق سياسة، والتحيُّل كياسة، والدناءة لطف، والنذالة دماثة**"[34]، ويضيف في موضع آخر قائلاً: "الاستبداد يُضطرُّ النّاس إلى استباحة الكذب والتحيُّل والخداع والنّفاق والتذلل, وإلى مراغمة الحسّ, وإماتة النفس, ونبذ الجدّ, وترك العمل، إلى آخره"[35].

3. من آثار الظلم السياسي خراب البلاد:

ومن آثار الظلم الذي يعجل في هلاك الدولة الظالمة, خراب البلاد اقتصاديًا وعمرانيًا؛ لزهد الناس في العمل والإنتاج، وسعيهم الدائم إلى الفرار والخروج منها. **وكان هذا يؤثر** في قوة الدولة اقتصاديًا وعسكريًا, ويقلل مواردها المالية التي كان يمكن أن تنفقها على إعداد قوتها في مختلف المجالات، مما يجعل الدولة ضعيفة أمام أعدائها الخارجين– وإن بقيت قوية طاغية على مواطنيها الضعفاء المساكين المظلومين– وكل هذا يؤدي إلى إغراء أعدائها من الدول القوية؛ لتهجم عليها, وتستولي عليها, أو على بعض أقاليمها, أو

(**32**) **تفسير الطبري جامع البيان 19/517**.
(**33**) **زهرة التفاسير 10/5079**.
(**34**) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، الكَوَاكِبي ص 97
(**35**) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص122.

إلحاق الأذى والضرر بها؛ مما يعجل في هلاكها[36].

وقد أشار المفسرون إلى أثر الظلم في خراب البلاد، ففي تفسير القرطبي قوله –رحمه الله–: (**فإن الجور والظلم يخرّب البلاد بقتل أهلها**, وانجلائهم منها، وترفع من الأرض البركة)[37]، وقال الالوسي: (**روي عن ابن عباس أنه قال: أجد في كتاب** الله تعالى أن الظلم يخرب البيوت، وقرأ قوله تعالى: (**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**)[38] النمل: 52.

4. اللجوء إلى استخدام البطش والإرهاب:

دأب الطغاة على مقابلة كل محاولة لجرهم إلى الحوار بالقوة والبطش لأن عقولهم وكما يقول الغزالي: "لا تعرف مبدأ التفاهم، ولا تطيق الأخذ والرد والوصول إلى الحق... يكاد لا ينبعث صوت للخير؛ حتى يلاحقه صوت من الإرهاب, يطلب إخراسه وإما قتله»[39].

ويظهر هذا جليًا من الحوار الذي دار بين موسى وفرعون، وكيف قفز فرعون مباشرة من المحاورة الهادئة إلى التهديد بالسجن والقتل, وما إلى ذلك من الأساليب القمعية. وهذه العقلية, أي تصفية المقابل, مترسخة ليس في نفوس الطغاة فحسب، بل في نفسية كل فرد من أفراد المؤسسة الطاغوتية، بل يتجاوز ذلك إلى الأفراد العاديين في المجتمع الطاغوتي.

- التهديد والتخويف بالنفي والتشريد:

التهديد بالنفي والإخراج من الوطن العزيز على الفؤاد, وسيلة يتوسل بها الطغاة دائمًا وأبدًا لإرغام المصلحين والدعاة– والمعارضين بصورة عامة– على التنحي عن مسرح الحياة السياسية، وذلك إما بالاعتزال والجلوس في بيوتهم، وفي حال امتناعهم عن ذلك يتم تنحيتهم وذلك؛ بإبعادهم ونفيهم، وقد بين القرآن الكريم أن هذا دأب الطغاة، قال تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ **لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ**) الأعراف:88، قال أبو حيان: "إخراج شعيب وأتباعه من وطنهم أو عودتهم عن دينهم, سوّوا بين نفيه ونفي أتباعه وبين العود في الملّة وهذا يدلّ على صعوبة مفارقة الوطن إذ قرنوا ذلك بالعود إلى الكفر»[40]، والناظر في سنة النبي– – ﷺ يتعجب من شدة حبه – – ﷺ لوطنه الأم مكة المكرمة ودليل ذلك قول النبي – – ﷺ حين هجرته بعد سنواتٍ طوال من إيذاء أهل مكة له, وتصدي الكثير منهم لدعوته: «وَاللهِ إنّك لَأَحَبّ أَرْضِ اللهِ إلَيّ وَإنّك لَأَحَبّ أَرْضِ اللهِ إلَى اللهِ وَلَوْلاَ أَنّ أَهْلَك أَخْرَجُونِي مِنْك مَا خَرَجْت»[41].

(36) **السنن الإلهية في الشريعة الإسلامية، زيدان، صـ104.**
(37) **الجامع لأحكام القرآن ، 9/ 334** .
(38) **روح المعاني، ج19، ص215،** السنن الألهية صـ104.
(39) **الإسلام والاستبداد السياسي، محمد الغزالي، صـ 25.**
(40) **انظر: تفسير البحر المحيط، ابن حيّان 5/ 397**
(41) **الروض الأنف: السهيلي، 2/314 والحديث أخرجه أحمد في المسند من حديث عب**د الله بن عدى بن الحمراء الزهري، مسند

وما ورد في الحديث ما يدل على حب النَّبِيّ – ﷺ – للمدينة المنورة, وهي وطنه الثاني الذي آواه وواساه, ودليل ذلك ما ورد عَنْ أَنَس رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيّ – ﷺ – كان إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ نَاقَتَهُ، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا»[42].

- **التهديد والتخويف بالسجن والتعذيب:**

نجد أن الأمور في الدولة الطاغية تكون مقلوبة، فبدلاً من أن يكون السجن مكاناً لإيداع المجرمين الذين يعتدون على الناس ليتم فيه إصلاحهم وتأهيلهم من جديد ليكونوا أفرادًا صالحين في المجتمع؛ إذا بالسجن يتحول إلى معسكرٍ ومستودعٍ يتم فيه جمع الدعاة والمصلحين والمفكرين والأبرياء.

والسجن له في الدولة الطاغية شهرته وصيته، ليس في الإصلاح والبناء والتربية، وإنما في إبعاد وتنحية الأخيار من الدعاة والمصلحين عن مسرح الحياة، قال تعالى حكاية عن فرعون, وهو يخاطب موسى: (قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) الشعراء: 29، ويبين هذا التهديد طريقة تفكير الطغاة الذين لا يطيقون الحوار, ومقابلة الدليل بالدليل، بل ينتقلون ونتيجة الإفلاس الفكري من الحوار إلى الاتهام بالجنون وغيره, ثم مباشرة إلى السجن.

يقول سيد قطب– رحمه الله–: "والطغيان لا يخشى شيئًا كما يخشى يقظة الشعوب، وصحوة القلوب, ولا يكره أحدًا كما يكره الداعين إلى الوعي واليقظة, ولا ينقم على أحد, كما ينقم على من يهزون الضمائر الغافية»[43].

وهو دأب النخبة الطاغية من قريش في التآمر على النبي – ﷺ – بعد إفلاسها في مواجهة الحق بالدليل والبرهان, كما ينقل القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: **(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)** الأنفال:30، فإنهم لما اجتمعوا لوضع خطة يتم بها القضاء على الدعوة الجديدة كان من جملة ما اقترحوه هو السجن المؤبد؛ حيث قال قائل منهم: "احبسوه في الحديد، واغلقوا عليه بابًا، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء»[44].

ولاشك أن الدولة التي يحكمها الطاغية تعد بمثابة سجن كبير تعيش فيه الرعية؛ حيث لا حرية ولا تعبير، بل إن مجرد التفكير ممنوع, ومعاقب عليه، لذا فكل فردٍ من أفراد الدولة يعيش في سجنٍ ذهني مع نفسه، وإن كان طليق الجسد.

الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل 27/ **403**، **رقم 22735**، **و**مسلم عن أبي هريرة، المسند الصحيح، 305/4،رقم 18739، وابن عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني ج 1/ ص 448 حديث رقم: 621، ولم أجد أحداً تكلم عن صحته أو ضعفه.

(**42**) **أخرجه** الإمام البخاري – باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة 2/ **638 برقم 1708**

(**43**) **المصدر** السابق ، 2593/5.

(**44**) **الرحيق** المختوم، ص145.

- الاغتيال والكيد:

يحاول الطاغية في كثيرٍ من الأحيان التخلص من المعارضين بطرق خفية خبيثة، حتى لا تثير عملية قمع هؤلاء وقتلهم الرَّعية. يتم في سبيل ذلك تدبير حوادث يتم بها تصفية المعارضين والدعاة المصلحين، أو وضع خطط يصعب معها حدوث أية مواجهة من قبل الشعب، وهذا ما حاول تطبيقه النخبة الطاغية من ملأ صالح, قال تعالى: (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (48) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ)النمل48-49، أو كما خططت النخبة الطاغية من قريش في العملية التي أرادوا بها قتل الرسول- -ﷺ- قال تعالى: **(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)** الأنفال:30، وتنقل كتب السيرة تفاصيل الخطة: فقال أبو جهل: والله إن لي فيه رأيًا, ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتىً شابًا جليدًا نسيبًا وسيطًا فتيًا, ثم نعطي كل فتىً منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليه, فيضربوه بها ضربةَ رجلٍ واحدٍ فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرَّق دمه في القبائل جميعًا، فلم يقدر بنو عبد منافٍ على حرب قومهم جميعًا, فرضوا منا بالعقل, فقبلناه لهم(45).

- قتل الأنفس و على رأسها دعاة الإصلاح:

المؤسسة الطاغوتية أول ما تحاول إرجاع أصحاب الدعوات الإصلاحية إلى الخضوع والانقياد من جديد للسلطة؛ حتى لا تثير عملية قمع هؤلاء بقية الرعية أو الجمهور العام، فنجد أن فرعون حاول إقناع موسى أول الأمر, وكذا فعل مع السحرة، فإذا باءت تلك المحاولات بالفشل, فإنَّ المؤسسة الطاغوتية تبدأ بتعذيب الرَّعيَّة قبل المصلح أو الداعي, وذلك أملاً في إرجاع الضعفاء إلى الصف العام, وذلك لقطع الروافد عن الدعوة الجديدة, ولإدخال اليأس والإحباط في نفسية المصلح.

وهذا واضحٌ في قتل فرعون للسحرة قبل موسى، وقتل الملك للراهب والجليس قبل الغلام الذي مثل الرأس, كما ورد في الحديث عن صهيب- رضي الله عنه-: (**كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر، قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إليَّ** غلامًا أعلّمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه، إذا سلك راهب, فقعد إليه, وسمع كلامه، فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب, وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك, فقل: حبسني الساحر, بينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرًا، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر, فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بُنَيَّ أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليَّ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس

(45) **السيرة** النبوية، ابن هشام ص 126، والسيرة النبوية ابن كثير 229/2، والمنهج الحركي للسيرة النبوية، الغضبان 186/1.

للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا, إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك, فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك ربٌّ غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه, فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمئشار، فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ...")[46].

وقتل الملأ الطاغي من قريش لصحابة الرسول– – ﷺ وقد "قتل ياسر وسمية – رضي الله عنهم– في بيت الله الحرام، وليس لهم أيَّ ذنب إلا إنهم أناس يتطهرون، وذنبهم أنهم يريدون الخير لهم ولكم وللمجتمع وللأرض كلها، وأنهم أناس صالحون يريدون أن يعبدوا ربهم بالطريقة التي شرعها الله»[47].

5. مصادرة الحريات:

الطغيان والحرية ضدان لا يمكن أن يجتمعا معًا في دولةٍ واحدة، فإذا وجد الطُغيان فمعناه حرمان الناس من ممارسة كل ماله علاقة بالحرية، حيث تتحول الرَّعية في دولة الطغيان إلى قطعان من العبيد ليس لها إلا اتباع الطغاة وسياستهم، وبمراجعة آيات الذكر الحكيم التي تحدثت عن الطغاة والطغيان نجد أن الطغاة يحرمون الرَّعية من الحريات الآتية:

- حرية الاعتقاد والتدين:

يمنع الطغاة حرية الاعتقاد, سيما الإيمان بالله سبحانه وتعالى، لأن ذلك يقتضي الخضوع والانقياد له –سبحانه وتعالى– ورفض ما عدا ذلك، لأنه هو المالك الحقيقي لكل ما في الكون، ولذا فليس لأحدٍ غيره من الأمر شيء، وقد صرح القرآن الكريم بأن الطغاة ينقمون من المؤمنين بسبب إيمانهم، قال تعالى حكاية عن السحرة, وهم يخاطبون فرعون: (وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا) الأعراف:126، **لأن الله هو المالك الحق لما في السماوات والأرض، وعليه فلن يبقى بعد الإيمان بالله المالك الحق للطغاة مكان ليس في السلطة**, فحسب وإنما قبل ذلك في القلوب التي كانت مليئةً بالخوف والفزع منهم في غياب الإيمان بالله تعالى، بل إن الطاغي يجعل من نفسه رقيبًا على قلوب وعقول الرعية, بحيث يحرم عليهم الإيمان بشيء سواه، قال تعالى حكاية عن فرعون: (قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ) طه:71، وهذا "مقولة الطاغية الذي لا يدرك أنهم هم أنفسهم لا يملكون– وقد لمس الإيمان قلوبهم– أن يدفعوه عنها، والقلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء»[48].

(46) **أخرجه** مسلم، باب/ باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام 2299/4، رقم 3005.
(47) **السيرة النبوية، السرجاني، صـ6.**
(48) **في ظلال القرآن، 2343.**

- حرية التنقل والسفر:

الطاغية يمنع رعيته من السفر والتنقل؛ لأنه ينظر إلى كلِّ فردٍ من أفراد الرَّعية, **ب**وصفه مستعبدًا ومملوكًا له, لا بد من تسخيره لخدمته, والاستفادة منه.

وتظهر الصورة بوضوح أكثر في منع طغاة قريش المسلمين في مكة, من الهجرة والخروج منها, سواءً إلى الحبشة أو المدينة أو غيرها من الأماكن, لذا نزلت الآيات؛ لترسم تلك الصورة الظالمة, فقال تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) النساء:75، ", وقد مُنِعَ المستضعفون من المسلمين من الهجرة إلى المدينة فرارًا بدينهم وانضمامًا إلى إخوانهم, فكان أمام هذه المحاولات أن أذن للنبي بالقتال من قبل الله سبحانه وتعالى.

"وإذا أمعنا النظر في النصوص القرآنية التي أمر الرسول– ﷺ – فيها بالقتال رأيناها تعترف بأن الحرب وسيلة لدفع العدوان. اعترفت بها؛ لأن طبيعة البشر كثيرًا ما تفضي إلى التنازع والبغي، والاعتداء على الحريات»[49]، والواقع المعاصر لكثيرٍ من دول العالم الثالث, سيما العالم الإسلامي يشهد على ما نقوله هنا، فالمواطن الذي يبدي أي معارضة للسلطة القمعية الجائرة ممنوع عليه السفر والتنقل، وإذا سافر بطريق ما بدون إذن السلطة الأمنية, فلن يرجع إلى بلده من جديد، وإن رجع, فإما السجن, وإما المقبرة.

منع حرية الإعلام والتعبير:

يعلم الطغاة أن مجرد فتح الأبواب أمام الكلمة الحرة في المجتمع, ستكون له نتائج خطيرة على مستقبلهم وسلطتهم، وعليه يحاولون بكلِّ وسيلة منع ذلك، ويظهر هذا جليًا من السياسة التي اتبعتها النّخبة الطاغية من قريش في منعهم الرَّعية حتى مجرد سماع القرآن الكريم منهج التغيير الجديد الذي جاء به الرسول – ﷺ – وهذا ما حكاه القرآن بقوله: **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)** فصلت: 26، حتى كانوا يحذّرون من قدم إلى مكة من سماع القرآن؛ خشية أن يتأثر به فيسلم، بل تواصوا فيما بينهم باللغو (التشويش) عند سماع القرآن, حتى لا يتأثر به السامع[50]. قال مجاهد كان كفار قريش يجلسون على كل عقبة أربعة ينفّرون الناس عن اتباع النبي– ﷺ – كما فعل من قبلهم من الأمم السابقة بأنبيائهم[51].

- الإغراء بالمال والمناصب:

دأب الطغاة إغراء الآخرين وشراء ذممهم بالمال أو بالمناصب, وتقريبهم من مجالسهم، وهذا ما نجده صريحًا في إغراء فرعون للسحرة الذين كانوا بمثابة إحدى وسائل الإعلام في تلك الفترة لما كانوا يقومون به من

(49) قوة العقيدة سبيل النصر في غزوة بدر الكبرى، جاب الله، صـ 203

(50) بينات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزاته، الزنداني صـ193

(51) ()الجامع لأحكام القرآن 7/79.

إلهاء الناس, وتمويه الحقائق، إضافة إلى أن كثيرًا منهم كانوا يجمعون بين حرفتي الكهانة والسحر: **قال تعالى:** (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)الشعراء:41-42.

"وهكذا ينكشف الموقف عن جماعة مأجورة يستعين بها فرعون الطاغية تبذل مهارتها في مقابل الأجر الذي تنتظره ولا علاقة لها بعقيدة ولا صلة لها بقضية، ولا شيء سوى الأجر والمصلحة. وهؤلاء هم الذين يستخدمهم الطغاة دائمًا في كل مكانٍ, وفي كل زمان»[52].

ويتم بهذه الطريقة شراء الذمم, وهي الطريقة المتبعة في الوقت الحاضر، سيما مع وسائل الإعلام, ودور النشر, ووجهاء وملأ القوم، لذا نجد أن ملأ بني إسرائيل كانوا من المقربين من فرعون، ومارسوا نيابة عنه وفي المقابل المال والمنصب والإرهاب على بني إسرائيل، لذا كان خوف بني إسرائيل كان من فرعون ومن ملأئهم في عدم إعلانهم لإيمانهم، قال تعالى: (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) يونس:83.

- الإكراه على تعلم نوع خاص من المعارف:

ومن وسائل الطغاة إكراه الشعب– أو الطوائف منه – على تعلم نوعٍ خاص من العلوم أو المعارف, التي تساعدهم على الاستمرار في الطغيان، وتتم صياغة المنهج بطريقة تمجد الطاغية ونظامه، وقد صرَّح بهذا السحرة لما آمنوا, وأصبحت لديهم من الشجاعة الإيمانية ما يرفعون به اللثام عن السياسة الفرعونية الباطلة والظالمة، فقالوا كما نقل عنهم القرآن الكريم: (إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) طه:73.

قال ابن عباس في قوله تعالى: **(وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ)**, قال: أخذ فرعون أربعين غلامًا من بني إسرائيل، فأمر أن يعلموا السحر»[53].

ويظهر أيضاً في قصة الغلام والساحر، وتعليم السحر وتخريج السحرة بشكل منتظم، كما ورد في الحديث: (كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر، قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلاما أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه، إذا سلك راهب, فقعد إليه, وسمع كلامه، فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب, وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر)[54].

وإكراه الرعية على تعلم نوعٍ خاص من الثقافة أمر واقع في أغلب الدول المحكومة من قبل الطغاة، ويتم تزيين الثقافة الطاغوتية عادةً, بتسميتها بأسماء براقة, مثل الثقافة الوطنية، و ما إلى ذلك من التسميات التي تربى عليها الأجيال؛ ليكونوا خير عبيد للطاغية.

(52) في ظلال القرآن 5/2595

(53) تفسير ابن كثير 268/5.

(54) سبق تخريجه.

المبحث الرابع:

مواجهة الظلم السياسي ودفعه

حذَّر القرآن الكريم من ممارسة الظلم ضد الآخرين، وتوعد المرتكبين له بأشد العذاب، ولم يكتف القرآن الكريم بذلك؛ بل أكَّد على أهمية العمل في مواجهته، ورفضه وعدم القبول به، والسعي في ذات الوقت لنشر العدالة كنظام يدعو إليه القرآن؛ فالعدل هو محور النظام الإسلامي، ومنطلق للحرية والحق والفضيلة.

يمكننا استشراف مجموعة من الخطوات والمرتكزات في مواجهة الظلم السياسي... , أبرزها ما يلي:

1. النصيحة للحاكم الظالم:

وأساسها القرآني هو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, الذي أثنى الله تعالى به على أمة محمد –صلى الله عليه وسلم–: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) التوبة:71، **ووهبها بمدى التزامها به الخيرية على سائر الأمم (كنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)**آل عمران:110، وأرشد المسلمين إلى انبراء وتصدي جماعة منهم لهذه المهمة النبيلة (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ **الْمُفْلِحُونَ**)آل عمران:104، وهم العلماء فيما يختصون بعلمه, دون عامة الناس المخاطبين بها أيضًا فيما هو معلوم من الدين بالضرورة[55]. فقد بيّن النبي– –ﷺ النصيحة الولاة الأمر في أحاديث كثيرة، منها: (الدين النصيحة. قلنا لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم)[56]، ومنها: (إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويسخط لكم ثلاثًا, يرضى لكم أن تعبدوه, ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم)[57].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوام الحياة في المجتمع، والكل مخاطب بحسب ما يقتضيه الحال بمرتبةٍ من المراتب الثلاث التي بينها رسول الله – – ﷺ في الحديث الشريف: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[58]، وقد أثنى رسول الله – – ﷺ على المتصدي لظلم الحكام، ناصحًا لهم بالخير والمعروف، وناهيًا لهم عن الشر والمنكر، وباذلاً نفسه

---

(55) الجامع لأحكام القرآن 4/ **47– 49، 165**.

(56) **صحيح** مسلم، 74/1، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم: 55، صحيح البخاري، 31/1،30، باب قول النبي الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

(57) **صحيح ابن حبان، 8/182، ذكر الأخبار عما يجب على المرء من مجانبة الإكثار من السؤال، رقم: 3388. موطأ مالك، مالك ابن أنس،2/990، رقم: 1796**.

(58) **أخرجه مسلم، في صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت، باب/** باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص 69/1، رقم 49.

فداءً للحق لا يخشى في ذلك لومة لائم، أخبر أن من كان كذلك فهو في أعلى درجات الجهاد في سبيل الله التي ضمن الله لصاحبها أفضل مقام، حيث قال: (**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**)[59].

2. إصلاح النفوس:

إن صلاح الدولة بكافة مؤسساتها، وفي أعلى الهرم بما فيها السلطة الحاكمة, يتوقف على صلاح أبنائها، كما أن جور الحكام فيها بليةٌ, يتحمل المحكومون أيضًا قدرًا من المسؤولية في بلاغها تلك الحال من الخلل السياسي، والله عز وجل يقول: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)الرعد:11، فالآية صريحة في تقرير مسؤولية الأفراد في الإصلاح والتغيير العام, من خلال إصلاح الذوات, وتوجيه سلوكها بالدين والأخلاق، وهذه المسؤولية تكريم للإنسان كما جاء في ظلال القرآن» ومن الجانب الآخر يكرم هذا المخلوق الإنساني أكبر تكريم، حين يجعل قدر الله به ينفذ ويجري, عن طريق حركة هذا الإنسان وعمله, ويجعل التغيير القدري في حياة الناس مبنيًا على التغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم، وأوضاعهم التي يختارونها لأنفسهم»[60]، ولنا في السنة النبوية المشرفة ما يبرر هذا المعنى بكل جلاء، وهو قول النبي– ﷺ: "... **ولم** ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين...»[61]، فما على المحكومين الذين قهرهم ظلم سلاطينهم إلا المبادرة إلى تغيير الأنفس وتزكيتها وتهذيبها بالامتثال لشرع الله؛ حتى يحقق الله عز وجل فيهم وعده بقلب انكسارهم إلى نصر.

الدعاء على الظالم:

ونستمد هذا المسلك في مواجهة ظلم السلطة الحاكمة من القرآن الكريم من قصة موسى– عليه السلام– مع فرعون، فإلى جانب كونها تقدم صورة لمعركة بين الإيمان والكفر، وبين الخير والشر, فإنها أيضًا تقدم لنا صورة لمعركة بين رعية مستضعفة, وسلطة مستبدة ظالمة, تحارب كل سلطة إصلاحية قد تهدد نفوذها, وتحجم من صلاحيتها (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) القصص:4، فكان أن استعان موسى– عليه السلام– بالدعاء؛ لكي يرفع الله هذا الظلم عن المستضعفين، وكانت الإجابة من الله تعالى: (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) يونس:88–89، وهذه الاستجابة لدعوة المظلومين سنة إلهية، وقد أخبر المولى تعالى عن نفسه أن يرفع عن عباده السوء إذا أقبلوا عليه, داعين راجين (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ)النمل:62.

---

(59) **سنن أبي داود، أبو داود، (1430 هـ – 2009 م) باب: الأمر والنهي 6/400، رقم 4344، والترمذي، في سننه، الترمذي 1395 هـ – 1975 م باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر 4/471، 2174، قال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه". الحاكم، المستدرك على الصحيحين، 3/215، رقم: 4884 .**

(60) **في ظلال القرآن، 3/1535.**

(61) **أخرجه ابن ماجه في سننه، باب العقوبات 2/1333، رقم 4019،**

الخاتمة والتوصيات

خلصت هذه الدراسة الموضوعية لقضية الظلم السياسي وآثاره, في المجتمعات الإسلامية, وجور السلطة الحاكمة فيها على مواطنيها, إلى النتائج التالية:

1. حث القرآن الكريم الحكام على مراعاة العدل في المسؤولية التي أنيطت بهم، والحكم بخلاف ذلك ظلم للنفس, وتعدي على حقوق الرعية.

2. بيان القرآن الكريم لصورٍ من الظلم السياسي الذي تتعرض لها الرعية من حكامها، وهي الاستبداد بالحكم، اغتصاب السلطة من أصحابها، والحكم بغير ما أنزل الله.

3. تنبيه القرآن لشناعة الاستبداد بالحكم, والاستفراد بالسلطة, وتجاهل مبدأ الشورى الضامن لحقوق ومصالح الحكام والمحكومين معًا.

4. تنبيه القرآن إلى حكم ولاة الأمور بغير ما أنزل الله هو ظلم للنفس وللمحكومين، وبيان القرآن لوجوب مقاومة الظالم بالوسائل المتاحة.

5. اشتمال القرآن الكريم على مبادئ عامة, يسترشد بها المحكومون من طرف سلطة ظالمة, إلى سبل مقاومتها, ودفع ظلمها عنهم، وهي تفعيل واجب الأمر والنهي في دفع ظلم الحكام, وأهمية تعهدهم بالنصيحة، واعتزال الظالمين، وعدم التعاون معهم، و الامتناع عن طاعتهم فيما فيه معصية الله، و إصلاح النفوس، و الدعاء على الظالم.

6. يترك الظلم آثارًا مادية, وأخرى معنوية على المجتمعات، ومنها بثُّ الرعب في قلوبهم، ونشر الفتن، وافتعال الأزمات، ويسعى الظلمة إلى بثِّ الفرقة بين أفراد المجتمع الواحد، ومصادرة حقوقهم وحرياتهم، كما أن الظلم يأذن بهلاك الظالمين, وزوال ملكهم.

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.41

التوصيات:

1.تكوين لجان مجتمعية تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, ونصح الحاكم الظالم.

2.إقامة الندوات والمؤتمرات حول ما يتعلق بقضية العدل والمساوات بين أفراد المجتمع، وترسيخ هذه المفاهيم، وحث المجتمع عليها في حق اختيار الحاكم.

3.ترسيخ مفهومي الشورى والحرية, ونشر الوعي المجتمعي حولهما.

4.مقاومة الظالم بكل الوسائل والأساليب المتاحة، مثل: تفعيل الإعلام المرئي والمسموع والمقروء, وبيان تسلط واستبداد الحاكم، والضغط على وجهاء المجتمع والعلماء في القيام بواجب الأمر والنهي والنصيحة، وتنظيم المسيرات والمظاهرات التي تندد بطغيان الحاكم.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم مصطفى، وآخرون، 1981م، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا.

2. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم 1418هـ، السياسة الشرعية، (المتوفى: 728هـ)، وزارة الشئون الإسلامية– السعودية، ط: 1،.

3. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، 1421هـ – 2001م، مسند الإمام أحمد ت: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، الرسالة ط/ 1.

4. ابو حيّان، محمد بن يوسف، 1413هـ، البحر المحيط، (ت745هـ)، ت: عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1،.

5. ابن عاشور، محمد الطاهر، 1984م، التحرير والتنوير، الدار التونسية.

6. ابن عطية، عبدالحق بن غالب1413هـ ، تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) : – ت : المجلس العلمي بفاس.

7. ابن كثير، إسماعيل1395هـ – 1976م، السيرة النبوية، (المتوفى: 774هـ)، ت: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة بيروت – لبنان.

8. ابن كثير، إسماعيل 1422هـ، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، الإصدار الثاني، ط1، ، تحقيق: سامي سلامة.

9. ابن منظور، المصري، ١٩٩0م لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط/ 1 .

10. ابن هشام، عبد الملك بن أيوب،1411هـ، السيرة النبوية، ت طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.

11. أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة.

12. الأصفهانى، الحسين بن محمد الراغب،٢٠٠١م، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط/ الثالثة – .

13. الألوسي، شهاب الدين محمود، 1415 هـ، روح المعاني (المتوفى: 1270هـ)،ت: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ 1،.

14. البخاري، محمد بن إسماعيل، 1421هـ، صحيح البخاري : مراجعة : صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط الثانية،.

15. الترمذي، محمد بن عيسى، 1975 م، سنن الترمذي، (ت: 279هـ)، ت: أحمد محمد شاكر، ط/ مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط/2،.

16. الجرجاني، علي بن محمد، 1405 هـ ،التعريفات للجرجاني: تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي،

بيروت، ط 1.

17. الزمخشري، الكشاف، ،1423هـ، ت: خليل مأمون شيحا، ط1، دار المعرفة – بيروت.

18. الزنداني، عبد المجيد بن عزيز، 2002م، بينات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، دار الإيمان– القاهرة.

19. زيدان، عبد الكريم م1999، السنن الإلهية في الشريعة الإسلامية، الرسالة، بيروت.

20. زيدان، عبدالكريم، 1423هـ - 2002م، المستفاد من قصص القرآن، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت – لبنان، ط/1،.

21. السِّجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، هـ، 1430سنن أبي داود، (المتوفى: 275هـ)،ت: شعَيب الأرنؤوط، دار الرسالة ، ط/1.

22. السهيلي، عبد الرحمن 1390 هـ، الروض الأنف، ط/ الكتب الحديثة.

23. سواق، فاطمة الزهراء، 1436هـ - 2015م، مدافعة الظلم السياسي، مجلة البحوث العلمية ، العدد الثامن.

24. سيد قطب، في ظلال القرآن1406هـ ، دار العلم للطباعة (ط/ 12).

25. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر،1421هـ، الدر المنثور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى.

26. الطبري، محمد بن جرير1422هـ ، جامع البيان في تأويل القرآن، دار هجر، الجيزة، مصر، ط1، ، تحقيق: د. عبد الله التركي.

27. عطية، عدلان 1432هـ - 2011م، النظرية العامة لنظام الحكم في الإسلام، ط/1، دار اليسر القاهرة.

28. الغزالي، محمد، 1414هـ، الإسلام والاستبداد السياسي، ط/ دار الأنصار القاهرة.

29. الغضبان، منير محمد1411هـ 1990-م ، المنهج الحركى للسيرة النبوية، (المتوفى: 1435هـ)، مكتبة المنار- الأردن ، ط/ 6.

30. الفالوذة، محمد إلياس1423هـ، الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، دراسة موثقة لما جاء عنها في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والروايات التاريخية (العهد المكي)، مطابع الصفا – مكة، ط/1.

31. الفيومي، أحمد بن علي المصباح المنير، نشر مكتبة، بيروت، لبنان.

32. القرطبي، محمد بن أحمد، 1422هـ، الجامع لأحكام القرآن، ت: عبد الرزق المهدي، دار الكتاب العربي: بيروت، ط4.

33. القلموني، محمد رشيد رضا،1990م، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (المتوفى: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب:.

34. الكَوَاكِبِي، عبد الرحمن بن أحمد، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، (المتوفى: 1320هـ) المطبعة العصرية – حلب.

35. الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1416هـ، ت: عصام الحرستاني.

36. المباركفوري، صفي الرحمن، 1427هـ، الرحيق المختوم، دار الهلال – بيروت، ط: 1.

37. المراغي، أحمد بن مصطفى 1946م، تفسير المراغي، (المتوفى: 1371هـ)، ومطبعة مصطفى البابى الحلبي مصر، ط/ الأولى.

38. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، (المتوفى: 261هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

39. الواحدي، علي بن أحمد، 1426 هـ، أسباب نزول القرآن : تحقيق : د/ ماهر الفحل، ط1، دار الميمان.